لغز العصا البيضاء

محمود سالم

لغز العصا البيضاء

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

لغز العصا البيضاء

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٨ ٢٥٥٤ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٣.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

مغامرة سريعة!	٧
جرس المساء	١١
لغز الباب!	١٥
محاولات فاشلة!	١٩
أفكار غامضة!	٢٣
خواطر غامضة!	٢٩
المستفزون الخمسة!	٣٣
العصا البيضاء!	٣٧
قبل أن يبدأ التحقيق!	٤٣

مغامرة سريعة!

كان «تختخ» ووالده يستقلَّان القطار من الإسكندرية إلى القاهرة ... وجلس «تختخ» بجوار النافذة كعادته ... فهو يحب أن يتأمل الحقول والقُرَى والقطار يمرُّ بها سريعًا ... وكان والده يجلس مقابله، بينما جلس رجل شديد الأناقة بجواره بعد أن وضع حقيبة بعناية على الرف ...

بدأ القطار يتحرك ... وأخذ «تختخ» يسرح مع الحقول والمزارع، ولكنَّ ذلك لم يمنعه من أن يختلس النظر إلى الرجل الجالس بجواره ... فقد أحس «تختخ» أنَّ الرجل قَلِق ... فهو يقرأ صحيفة، يحملها أحيانًا ثم يُلقيها جانبًا ... ويقوم ويجلس وينظر حوله ... وتبادل «تختخ» ووالده النظرات ... وكلٌّ منهما يسأل: ما هي الحكاية؟

مضى القطار ... ومرَّ بدمنهور ثم طنطا ... ولاحظ «تختخ» أنَّ عددًا من الرجال رَكِب من محطة طنطا ... ورغم أنَّ هذه مسألة عادية ... إلا أنَّ إحساس المغامر أكَّد أنَّ هذه المجموعة من الرجال ليست عادية ... بل إنَّ «تختخ» تأكَّد من تحركاتهم ونظراتهم أنَّهم من رجال الشرطة!

وعندما تحرَّك القطار من طنطا ... لاحظ «تختخ» أنَّ واحدًا من هؤلاء الرجال يقف عند باب العربة الذي يواجهه ... وعندما استدار إلى الخلف لاحظَ أن رجلًا آخر يقف عند الباب الخلفي ... ولم يَعُد عند «تختخ» شكٌّ في أنَّهم من رجال الشرطة، وأنَّهم يحاصرون العربة.

ثم دخل من أحد الأبواب ثلاثة رجال ... ولاحظ أنَّهم يقفون عند كل راكب ويتحدثون إليه ... وأحيانًا كانوا يطلبون فتْحَ الحقائب ... ونظر «تختخ» إلى الراكب الذي بجواره ... وأدرك أنَّه في حالة عصبية سيئة ... فقد تحوَّل لونه إلى الأصفر ... وعندما بدأ الرجال الثلاثة يقتربون منه قام الرجل من مكانه ... بعد أن أخرج لفافة من حقيبته وألقى بها

من نافذة القطار ... ثم اتجه إلى باب العربة ... ولكن رجل الشرطة الذي كان يقف هناك منعه من الخروج ... ولم يَعُد هناك أيُّ شك في أنَّ هؤلاء الرجال يطاردون شخصًا معينًا ... وأنَّ الرجل الذي بجواره هو إلى حدٍّ بعيد الرجل المطلوب ...

توقَّف الرجال الثلاثة عند «تختخ» ووالده، وباحترام شديد سألوا والده عن بطاقته الشخصية، فلما قدَّمها سألوه عن الحقائب التي يحملها، فأشار إلى حقيبته على الرف، فطلبوا إنزالها ... وفتحها ... وقام والده بذلك ... ولم يكن فيها إلا ملابس «تختخ» ووالده، فشكروه، ثم أشاروا إلى الحقيبة الثانية التي تخص جار «تختخ»، فقال والده إنَّه لا يعرف صاحبها ... وبالطبع كان والد «تختخ» صادقًا، لأنَّه لم يرَ الرجل وهو يضع الحقيبة على الرف ...

وسألوا «تختخ» فقال: أظنها حقيبة الرجل الذي كان يجلس بجواري!

سأله أحدهم: وأين هو؟

تختخ: لقد قام متجهًا إلى باب العربة!

نظر الرجال إلى الناحية التي أشار إليها «تختخ»، وتبادلوا إشارات سريعة ... واتجه أحدهم إلى جار «تختخ» الذي كان يقف بعيدًا ... ودار بين الرجلين حوارٌ سريع ... ثم ارتفع صوت رجل الشرطة ... والتفت الركاب جميعًا نحو الراكب الذي كان يريد مغادرة العربة.

أحاط رجال الشرطة الثلاثة بالرجل، وأحضروه إلى حيث كان «تختخ» ووالده يجلسان ... أشار أحد رجال الشرطة إلى الحقيبة، وسأل: هل هذه حقيبتك يا «شنكل»؟

رد الرجل: نعم.

قال رجل الشرطة بابتسامة حاسمة: افتح هذه الحقيبة يا شاويش لنرى ما بها.

رأى «تختخ» ابتسامة خفيَّة على وجه «شنكل»، فتوقع على الفور أنَّ اللفافة الصغيرة التي أخرجها من الحقيبة هي التي يبحث عنها رجال الشرطة، وما يؤكد هذه الفكرة، أنَّ الرجل ذهبت منه علامات الارتباك وبدأ يتصرف بهدوء وثقة.

فتح الشاويش الحقيبة، وأخذ يقلب في جوانبها، ويبحث عن أماكن تكون خفيَّة، ولكنه لم يجد شيئًا ... فقام بتسليمها لرجل الشرطة، وهو يقول: تمام يا فندم، لم أجد شيئًا!

كان القطار يسير ... والركاب يتابعون الحوار ... و«تختخ» ينظر في حيرة من أمره ... هل يواجه هذا الرجل بما فعله ... فيقول له إنَّه رآه عندما ألقى اللفافة من نافذة القطار! ولكن هذا ليس دليلًا يمكن أن يُثبت عليه التهمة ... آه لو أنَّ هذا الضابط كان قد ألقى القبض عليه وهو متلبس ... لو أنَّه جاء قبل ذلك بدقيقتين فقط! ...

آه لو ...!

قطع صوتُ الضابط المرتفع تفكيرَ «تختخ» وهو يقول بصوت متحفز ومتوعد: على كل حال يا «شنكل» أُحب أن أُعرفك أنَّك لن تُفلت من قبضتي أبدًا، فلن يكون لك حظٌّ مرة ثانية ... تأكَّد أنَّك سوف تقع في يد العدالة في النهاية، فهذا هو مصير كل مجرم ... ووقتها سوف ... قاطع «تختخ» الضابط قائلًا: لقد رأيت هذا الرجل يُخرج لفافة من حقيبته ويُلقي بها من النافذة، عندما شعر بقدوم رجال الشرطة.

نظر إليه والده بإعجاب؛ لأنَّه أدلى بما شاهده بصدق، رغم ما قد يجلبه عليه هذا من متاعب ... ولكن الرجل قال بإصرار وهدوء: أنا لم أفعل ذلك، أنت ولد كاذب!

وهنا حسم الضابط الموقف مكررًا توعُّدَه وإنذاره لهذا الرجل قبل أن يُخليَ سبيله.

اقترب القطار من محطة القاهرة، وعندما نظر «تختخ» من النافذة على رصيف المحطة شاهد عددًا كبيرًا من رجال الشرطة بملابسهم الرسمية ... وبعضهم بملابسهم العادية ... وفوجئ «تختخ» بالمفتش «سامي» بينهم، وعندما توقف القطار ... أسرع الجميع بالنزول ... وأسرع «تختخ» مع والده لتحية المفتش «سامي»، وسأله: ماذا يحدث يا سيادة المفتش؟

رد المفتش: إنها قضية تهريب «هيروين» ... وهذا الرجل ... رجل خطر معروف لدى مديرية الأمن.

قال أحد رجال الشرطة: إنَّ هذا الشاب هو الذي شهد بأنَّه رأى «شنكل» وهو يُلقي بلفافة كان يخبئها في حقيبته من النافذة عندما شعر بوجود رجال الشرطة ... وواجهه حين أنكر.

المفتش «سامي»: إنَّه المغامر الذكي «تختخ» أحد أصدقاء رجال الشرطة.

صافح المفتش «سامي» «تختخ» ووالدَه مودِّعًا، واتجه الجميع إلى خارج المحطة.

وفي طريق العودة إلى المنزل، لم تبرح صورةُ هذا الرجل خيالَ «تختخ»، وكم تساءل في نفسه، كيف يكون حبُّ المال والجشع قد تملَّك هذا الرجل إلى هذا الحد، وكيف مات ضميره فتاجر بهذه السموم التي تقضي على الشباب وتُدمِّر حياتهم ومستقبلهم ... ومرَّت في خياله صور «عاطف»، و«لوزة»، و«نوسة»، و«محب» حينما يقابلهم ويقصُّ عليهم ما حدث.

وتمنَّى «تختخ» أن يتحقق كلام ضابط المباحث ... ويقع «شنكل» في قبضة الشرطة متلبسًا ... لينال جزاءَه!

جرس المساء

كان «عاطف»، و«لوزة» وحيدَين في المنزل هذا المساء ... وقد وضعَا أمامهما رقعة الشطرنج وانهمكَا في أدوار اللعب المعقدة ... وكان «عاطف» يفضل الهجوم الخاطف بخطة «نابليون» المشهورة في لعب الشطرنج، بينما كانت «لوزة» تفضل اللعب بطريقة هادئة تكسب فيها «العساكر» واحدًا وراء آخر ... ثم تتخلص من الفيلين ثم الحصانين حتى تحاصر الوزير والملك ...

وحولهما في شرفة المنزل الواسعة تناثرت أُصص الزرع الخضراء والملونة ... وسمعنا جرس الباب يدق، وقالت «لوزة»: إنَّه «هشام» وجرَت إلى الشرفة حتى وصلت إلى السور ... ونظرت وشاهدت «هشام» يقف وبيده عصاه البيضاء التي لا تفارقه.

وقالت «لوزة»: سأنزل لأفتح له ... هل تفضِّل أن يبقى في الصالون ... أم يصعد معي إلى الشرفة؟

عاطف: من الأفضل أن تصعدي به إلى الشرفة ... حتى لا يظنَّ أننا نعامله معاملة خاصة!

وأخذت «لوزة» تنزل السلَّم وهي تفكِّر في هذا الصديق الجديد ... وتنهدت في أَسًى وهي تقول: كان الله في عونه!

وفجأةً أحست «لوزة» بتوازنها يختل، وانزلقت ساقُها على السلَّم، ولكنها تمالكت نفسها بسرعة وأمسكت بحافة السلم ... وكانت فردة حذائها قد سقطت منها ... وشعرت «لوزة» ببعض الألم في ساقها، ولكنها تحاملت على نفسها وهبطت السلم وهي تبحث عن فردة الحذاء ... وأخيرًا وجدتها ... وما كادت تلبسها وتتجه نحو باب الفيلا حتى دقَّ جرس التليفون ...

ترددت «لوزة» لحظة ثم حسمت تردُّدها واتجهت نحو التليفون ... فوجدت شخصًا يُدعى «علي فؤاد» يسألها عن والدها فأخبرَته أنَّه مدعوٌّ في نادي السيارات، فطلب منها رقم تليفون النادي، وعندما بحثت «لوزة» عنه وعادت به إلى التليفون كان الشخص الآخر على الخط قد قطع المكالمة، فاندهشت «لوزة» قليلًا ... ثم تذكَّرت صديقها «هشام» فأسرعت لتفتح له الباب ...

وصلت «لوزة» إلى الباب وفتحته ... وكم كانت دهشتها عندما لم تجد أحدًا ... خرجت من الباب ونظرت على ضوء فوانيس الشارع التي أضاءت بعد غروب الشمس ولكنها لم تجد «هشام» ...

توقفت لحظات تُفكِّر ... أين ذهب؟ سارت ناحية اليمين تنظر بجوار الشجيرات ... ثم عادت إلى اليسار وبحثت ... ولكن لا أثر لـ «هشام».

كان شيئًا مدهشًا ما حدث ... ففي نفس الموعد تقريبًا كان «هشام» يجيء ... وكانت تفتح له الباب فيأتي لقضاء بعض الوقت معها ومع «عاطف»، وخلال الأسابيع الأخيرة لم يتأخر يومًا واحدًا ... ولم يُخلف موعده ... رغم أنَّه يسكن في حلوان ولكنه دائمًا كان دقيقًا في مواعيده.

عادت «لوزة» إلى الفيلا، وأغلقت الباب، وصَعِدت مسرعةً إلى «عاطف»، وقالت بصوت مضطرب: لم أجده!

عاطف: مَن؟

لوزة: «هشام»!

عاطف: دعكِ من المقالب السخيفة!

لوزة: صدِّقني إنني لم أجده ... وبحثت عنه بجوار الباب، ولكني لم أجده!

فكَّر «عاطف» لحظات ثم قال: ولكن كيف؟ هل غيَّر رأيه؟

لوزة: ولماذا يغيِّر رأيه؟ وإذا كان قد غيَّر رأيه، فلماذا لم ينتظر حتى أفتح له ثم يعتذر!

ذهبَا إلى الشرفة، وأخذَا ينظران إلى الشارع الذي كان خاليًا من المارة ... ولكن لم يكن هناك أثرٌ لـ «هشام»، ظل الاثنان واقفَين يفكران فيما حدث ... كان «هشام» ولدًا أكبر سنًّا من المغامرين الخمسة ... فقدَ بصرَه في حادث سيارة منذ عامين ... وتعرفَا به في نادي المعادي الذي كان عضوًا فيه، وجذب انتباه المغامرين الخمسة بابتسامته الدافئة ... وعرف المغامرون مأساتَه ... فقد كان يركب دراجته ذات يوم ويعبر بها الشارع في «حلوان»،

عندما دهمته سيارة مسرعة فسقط على الأرض وارتطمت رأسُه بالرصيف، وأُصيب بنزيف داخلي في المخ هدَّد حياته، وبفضل من الله تمكنت براعة الأطباء من إنقاذ حياته، ولكنه فقد بصره.

ومنذ تعارفوا عليه أصبح من المعتاد أن يزورهم في المساء ... فإذا حدث ما يمنعه من الحضور ... اعتذر تليفونيًّا.

التفت «عاطف» إلى «لوزة» قائلًا: «لوزة» ... ما الذي حدث ... هل كنَّا واهمَين؟

لوزة: كيف نكون واهمَين!

عاطف: قد نكون توهَّمنا سماع الجرس لأننا في انتظاره ثم توهَّمنا أننا رأيناه!

لوزة: إنني لا أعرف بالتحديد ما هو الوهم يا «عاطف»، ولكن سمعت الجرس بأُذني، ورأيت «هشام» بعيني ... ألم تسمع وترى أنت أيضًا؟

عاطف: أعتقد ذلك!

لوزة: دون اعتقاد ... هذا ما حدث.

عاطف: فكيف تُفسِّرين أنَّك لم تجديه بالباب؟!

لوزة: هذا هو السؤال الذي يجب أن نجد إجابة عليه!

عاطف: نتصل ببقية المغامرين!

وأسرع «عاطف» إلى التليفون، تحدث إلى «تختخ» أولًا ... قال له: «تختخ» إنَّني و«لوزة» في مأزق غريب!

سكت «تختخ» لحظة ثم قال: مأزق؟! ماذا حدث؟ ... إنَّني خارج من مأزق أنا الآخر!

وروى له «عاطف» ما حدث بالنسبة لـ «هشام» ... فقال «تختخ» على الفور: شيء في منتهى الغرابة!

عاطف: هل تستطيع أن تأتيَ لنتحدث؟

تختخ: بالطبع ... سأتصل بـ «محب» و«نوسة»!

ووضع «عاطف» السماعة ... ووجد «لوزة» تقف في الشرفة تجول ببصرها في المكان بحثًا عن «هشام» دون جدوى.

وصل «تختخ» في سرعة البرق ... وعندما وقف بدراجته أمام الباب لاحظ «عاطف» و«لوزة» أنَّه أخذ يفحص المنطقة التي أمام الباب بعناية ... ثم انحنى على الأرض والتقط شيئًا أخذ يتأمله باهتمام!

نزل «عاطف» مسرعًا، ففتح الباب، ودخل «تختخ» وقال على الفور: لقد تم اختطاف «هشام»!

صُدم «عاطف» وقال: كيف؟

تختخ: أريد أن أستمع إلى روايتكما أولًا ... فأنا عائد توًّا من الإسكندرية، وقد حدث موضوع خطير في محطة القاهرة ...

وفي أثناء انتظارهم لأصدقائهم ... قصَّ عليهم «تختخ» ملخصَ ما حدث في القطار، ثم وصل «محب» و«نوسة»، وقال «تختخ»: هناك عملية اختطاف تمَّت منذ نحو ساعة ... راح ضحيَّتَها صديقُنا «هشام»!

وقبل أن يُعلِّق «محب» أو «نوسة» قال «تختخ» مواصلًا حديثه: لا تعليق حتى يرويَ لنا «عاطف» و«لوزة» ما حدث!

ومرة أخرى أخذ «عاطف» يروي ما حدث ... رنين جرس الباب في السابعة والنصف ... رؤية «هشام» وهو أمام الباب ... نزول «لوزة» لفتح الباب وعدم وجود «هشام» ... الانتظار لعله يظهر مرة أخرى ثم الاتصال بـ «تختخ»!

ساد الصمت بين المغامرين الخمسة ... كان كلٌّ منهم يفكر في الاحتمالات ثم سأل «عاطف»: ولكن كيف عرفت يا «تختخ» أنَّ «هشام» قد اختُطف؟

رد «تختخ» وهو يمدُّ يده إلى المغامرين: لقد وجدتُ ساعته أمام الباب!

لوزة: ولكنها قد تكون ساعة أي شخص آخر!

تختخ: إنَّ هذا لم يَغِب عني ... ولكن ساعة «هشام» لها أرقام بارزة مثل كل ساعات المكفوفين ... ولها غطاء يفتحه الكفيف أولًا ثم يتحسَّس الأرقام!

ثم صمت لحظة وقال: وقد سقطت الساعة منه في تمام الساعة السابعة وأربعين دقيقة؛ فقد توقفت عقارب الساعة عند هذه الأرقام!

لغز الباب!

ساد الصمت لحظات بين المغامرين الخمسة ... وعاد «تختخ» يسأل «لوزة»: إذا لم يضايقك إعادة التفاصيل مرة أخرى، فإنني أريد أن أتابع ما حدث لحظة بلحظة!

لوزة: تعرف طبعًا أنَّ «هشام» يجيء إلينا في هذا الموعد تقريبًا كل يوم ... وأنَّنا نتصل بكم جميعًا لتحضروا الأمسية كالمعتاد.

وصمتت «لوزة» لحظات ثم مضَت تقول: اليوم ... وفي الموعد نفسه تقريبًا، أي حوالي السابعة والنصف سمعنا دقات جرس الباب ... ولم يكن في الفيلا مَن يفتح له ... فنزلت بعد حديث خاطف مع «عاطف» وأسرعت إلى الباب.

تختخ: هل نظرت إلى ساعتك؟

لوزة: نعم، كانت السابعة والنصف.

تختخ: حسنًا ... استمري!

لوزة: نزلت ففتحت الباب ...

تختخ: كم من الوقت تستغرقين في النزول على السلَّم ... ثم المرور بالصالة حتى تَصِلي إلى الباب؟

لوزة: ربما دقيقتين أو ثلاث!

تختخ: ولكن ساعة «هشام» تُشير إلى السابعة وأربعين دقيقة ... هناك ثماني أو سبع دقائق ناقصة!

لوزة: نعم ... معك حق ... فعندما كنت أنزل بسرعة انزلقتُ على السلم ... ووقعَت فردة الحذاء وبحثت عنها سريعًا.

تختخ: في كم دقيقة؟

لوزة: ربما في دقيقتين!

تختخ: ما تزال هناك فجوة زمنية!

لوزة: ما معنى فجوة زمنية؟

تختخ: أقصد أنَّ العشر دقائق بين السابعة والنصف والسابعة وأربعين دقيقة ما تزال ناقصة!

لوزة: تذكرت الآن ... لقد غاب عن ذهني تمامًا هذا الموضوع ... فعندما كنت أعبر الصالة إلى الباب سمعت جرس التليفون ... وترددت لحظات في الرد عليه ... ولكني خشيت أن يكون أبي أو أمي على التليفون ... خشيت أن يظنَّا أنَّنا لسنا في الفيلا ... وأسرعتُ للرد على التليفون ...

تختخ: مَن كان المتحدث؟

لوزة: شخص يُدعى «علي فؤاد» طلب الحديث إلى أبي فلمَّا أخبرتُه أنَّه غير موجود سألني أين يكون ... فقلت له إنَّني أظن أنَّه في نادي السيارات لأنَّه مدعوٌّ للعشاء هناك مع أمي!

تختخ: هل سأل أسئلة أخرى؟

لوزة: نعم ... سألني عن رقم تليفون نادي السيارات، وقد اضطررت للبحث عن الرقم في الأجندة حتى عثرت عليه ... وعندما عُدت إلى التليفون لأردَّ على السائل كان قد أغلق التليفون!

نوسة: المسألة واضحة!

لوزة: ما هي المسألة؟

نوسة: إنَّهم كانوا يعطِّلونك عن فتح الباب حتى يتمَّ اختطاف «هشام»!

تختخ: استنتاج صحيح يا «نوسة»!

صمتَت «لوزة»، وبدَا عليها الارتباك ... ولكن «تختخ» أسرع يقول: لم يكن في إمكانك يا «لوزة» أن تُدركي ماذا حدث؟! ومن الواضح أنَّ المختطفين يعرفون كل شيء عن «هشام» وعنَّا جميعًا!

لوزة: ولكن ... يا لَلقسوة ... لماذا يخطفون ولدًا ضريرًا مثل «هشام»؟ ومَن هم المختطفون يا تُرى؟!

تختخ: هذا ما سنحاول معرفته ... إنَّه لغز وصلنا حتى الباب!

ساد الصمتُ لحظاتٍ ... وقال «محب»: من الأفضل الاتصال بالمفتش «سامي»!

تختخ: قبل ذلك علينا الذهاب إلى قسم الشرطة والإبلاغ عما حدث ... القانون يحتِّم هذا!

نوسة: ليذهب «عاطف» ... ولنذهب معه!

قاموا جميعًا، وانطلقوا بدراجاتهم إلى قسم الشرطة، وعندما اقتربوا من المكان لاحظوا وجود عدد كبير من الناس حول القسم ... وقال «عاطف»: إنَّ الشاويش «علي» مشغول ... ماذا نفعل؟

تختخ: من الخطأ الانتظار ... سأدخل معك!

نوسة: لقد نسينا أنه يجب الاتصال بأسرة «هشام» وإبلاغها بما حدث!

تختخ: إنَّني لم أنسَ ذلك لحظة واحدة ... فهذا أول ما يجب عمله، ولكني أُفضِّل أن نقوم بعمل محضر في القسم بما حدث حتى نكون قد قمنا بالواجب ... ولنفكر في طريقة نُخبرهم بها متوخين الحرص؛ لأنَّ هذا الموضوع سوف يُسبب لهم قلقًا فظيعًا!

دخل «عاطف» إلى القسم ... وكانت هناك شبه مظاهرة من الرجال والنساء ... وأصوات عالية ومتداخلة ... ولكنه استطاع أن يتبين صوت الشاويش «علي» الخشن وهو يطلب من الجميع الصمت.

ووقف «عاطف» يستمع إلى ما يحدث ... كان واضحًا أنها «خناقة» بين عدد من المواطنين ... ثم بدأ الشاويش يتحدث إليهم واحدًا واحدًا ... واتضح أنَّ صاحب أحد المنازل يريد إخلاءَه من السكان لأنَّه آيل للسقوط ... والسكان لا يريدون الخروج من المنزل، ويطلبون من الشاويش «علي» الخروج معهم لمعاينة المنزل.

أدرك «عاطف» أنَّه لن يستطيع الحديث مع الشاويش، فخرج من طابور الواقفين ليعود إلى المغامرين، ولكن الشاويش «علي» لمحه، فصاح: أنت هناك!

التفت «عاطف» إلى مصدر الصوت وصاح الشاويش: أنت؟ أنت؟ هل أنت من سكان المنزل؟!

عاطف: لا!

الشاويش: إذن ماذا تفعل هنا؟

عاطف: لقد جئت للإبلاغ عن حادث اختطاف!

احمرَّ وجه الشاويش ... وارتعش شاربه، ودقَّ بيده على المكتب قائلًا: اختطاف ... اختطاف ... قصة وهمية كالعادة لإضاعة وقتي والسخرية مني.

عاطف: يا شاويش «علي» ... القصة ليست وهمية.

الشاويش بعصبية: قلت لك وهمية ... يا عسكري «بريقع» اقبض عليه بتهمة البلاغ الكاذب!

ظهر جندي ضخم الجثة كالفيل ... واتجه إلى «عاطف»، ولكنَّ «عاطف» كان أسرع منه فانفلت من بين الموجودين وانطلق جاريًا ... والعسكري يجري خلفه وهو يصيح: أنت يا ولد ... واقعتك سوداء!

ولكن «عاطف» لم يضيِّع وقتًا، انطلق كالسهم خارجًا وخلفه العسكري «بريقع» لا يستطيع اللحاق به ... وفوجئ المغامرون بالمشهد ... وكان «عاطف» قد سبق الشاويش بمسافة طويلة، فصاح بهم: إلى الدراجات!

وأعدُّوا دراجته، فقفز إليها، وانطلق الخمسة مسرعين مبتعدين عن قسم الشرطة، متجهين إلى الكورنيش، و«تختخ» و«لوزة» و«نوسة» و«عاطف» لا يعرفون ماذا حدث، ولماذا يطارد الجنديُّ زميلَهم «عاطف»!

محاولات فاشلة!

بعد أن ابتعدوا مسافة كافية ... توقَّف الجميع على الكورنيش، وسأل «محب»: ماذا حدث يا «عاطف»؟

عاطف: كالعادة الشاويش «علي» لا يصدقنا ... قلت له إنَّ هناك حادثَ اختطاف، فقال إنَّني أضحك عليه ... واتهمني بالبلاغ الكاذب ... بل وطلب من العسكري الذي كان يطاردني واسمه «برقيع» ... طلب منه القبض عليَّ!

تختخ: إذن يجب أن نتجه فورًا إلى «حلوان» ... سنُخطر أسرة «هشام» بما حدث! أظنك تعرف الطريق يا «عاطف»؟

عاطف: نعم ... لقد تأخَّرت السيارة التي تأتي لأخذه يومًا، فذهبتُ مع أبي لتوصيله!

بعد نحو عشرين دقيقة وصل المغامرون الخمسة إلى قرب منزل «هشام»، وقرروا أن يتوجه «عاطف» لإخطار أسرة «هشام» بما حدث ... ووقفوا بعيدًا في انتظاره ... وبعد أن غاب «عاطف» نحو عشر دقائق عاد قائلًا: للأسف ... لا أحدَ في المنزل!

تختخ: وماذا فعلتَ؟

عاطف: تركت ورقة عند الجيران أن يتصلوا بنا للأهمية!

تختخ: أليس لـ «هشام» إخوة؟

عاطف: له أخت وحيدة متزوجة وتسكن في مصر الجديدة، وغالبًا يكون والده ووالدته في زيارتها!

تختخ: لم يَعُد أمامنا إلا الاتصال بالمفتش «سامي».

وعادوا مرة أخرى إلى المعادي ... واتجهوا إلى منزل «عاطف»، وكم كانت دهشتهم أن وجدوا العسكري ... «بريقع» يقف بقامته الضخمة أمام المنزل!

أسرعوا بالفرار قبل أن يراهم، وقال «تختخ» غاضبًا: إنَّ تصرفات الشاويش «فرقع» فاقت كل الحدود ... كيف يُرسل «بريقع» للقبض عليك؟!

عاطف: سأشكوه للمفتش «سامي»!

اتجهوا إلى منزل «محب» و«نوسة»، وقد ساد بينهم الشعور بالقلق على صديقهم الضرير، فأفقدهم الرغبة في الحديث ... ومن هناك اتصلوا بالمفتش «سامي» في مكتبه ... وهكذا وجدوا أنفسهم في مواجهة اختفاء «هشام» العجيب ... جلسوا صامتين لحظات، ثم قالت «نوسة»: كيف كان «هشام» يأتي إلى منزلكم يا «عاطف»؟

عاطف: كان يأتي في سيارة أجرة.

لوزة: ولكن كيف لطالب كفيف أن يدرس في مدرسة عاديَّة؟! أليس هناك مدارس للمكفوفين!

تختخ: نعم ... هناك مدارس خاصة بهم ... ولكن بعض الطلبة الذين حُرموا نعمة البصر في وقت متأخر ... يمكنهم متابعة دروسهم في المدارس العاديَّة إذا كان معهم جهاز تسجيل خاص، حيث يمكنهم تسجيل المعلومات عليه!

وعاد الجميع إلى الصمت ... وكان كلٌّ منهم يفكر في السؤال نفسه ... ماذا حدث لـ «هشام»؟ ... وإن كان قد اختُطف كما استنتج «تختخ» ... فلماذا؟ مَن الذي يخطف صبيًّا ضريرًا؟ إنَّه ليس غنيًّا حتى يكون وراء خطفه عصابة تريد فدية!

مسألة شديدة الغموض ... وأخرج «تختخ» ساعة «هشام» وأخذ يتأملها ... وكأنَّه يطلب منها أن تروِيَ له ما حدث!

في هذه اللحظة دقَّ جرس التليفون ... كان المتحدث هو والد «عاطف» و«لوزة» ... وأسرع «عاطف» يردُّ على أبيه، الذي قال له: إنَّ والد «هشام» ... اتصل الآن ... لقد عاد إلى منزله فوجد ورقة منك أثارت قلقله ... ويريد أن تتصل به تليفونيًّا فورًا!

عاطف: هل ترك رقم التليفون، فقد نسيت الرقم؟

الوالد: نعم ... تركه لك ... هل معك قلم وورقة؟

أشار «عاطف» إلى «نوسة» ... فأسرعَت تُحضر ورقة وقلمًا، وقام «عاطف» بكتابة الرقم.

عاد الوالد يقول: ماذا حدث يا «عاطف»! إنَّ الرجل منزعج جدًّا!

عاطف: الحقيقة يا أبي، إنَّ المسألة تدعو للانزعاج!

الوالد: هل حدث شيء لـ «هشام»؟

عاطف: لا أستطيع أن أقول ما حدث بالضبط ... ولكن هناك احتمال أن يكون «هشام» قد اختُطف!

الوالد: اختطف؟!

عاطف: نحن نظن ذلك ... وربما نكون على خطأ.

الوالد: إذن اتصل بوالده فورًا!

اتصلَ «عاطف» بوالد «هشام» الذي ردَّ على الفور ... وكان صوته يعكس قلقَه وانفعاله ... وأخذ «عاطف» يروي له ما حدث!

الأب: هل أبلغتم الشرطة؟

عاطف: حاولنا، ولكن هناك ظروفًا!

الأب: على أي حال سأتولَّى أنا الاتصال بقسم البوليس ومباشرة هذا الموضوع!

قام «تختخ» واقفًا، وأسرع إلى «عاطف»، وقال له: اسأله عن أي صديق لـ «هشام» نستطيع الاتصال به.

تردَّد «عاطف» لحظات، فاختطف «تختخ» السماعة من يده، وقال: أنا أحد أصدقاء «هشام»، وأريد من فضلك يا عمي أن تدلَّني على صديق له يمكن الاتصال به فورًا للأهمية!

الأب: هناك صديقه «أدهم»؛ فهو يسكن بجوارنا، ويذهب معه إلى المدرسة يوميًّا في التاكسي نفسه.

حصل «تختخ» على رقم تليفون «أدهم»، وأخذ يُطمئن والد «هشام» الذي شكر «تختخ»، ثم أنهى المكالمة وهو يرجو «تختخ» أن يتصل به في أي وقت إذا وجد ما يستدعي ذلك!

اتصل «تختخ» فورًا «بأدهم»، وقال له: إنني أعرف أنك صديق «هشام»!

رد أدهم: نعم!

تختخ: إنَّني أريد أيَّة معلومات عن «هشام»!

أدهم: ماذا تقصد؟

تختخ: معلومات عن حياته في المدرسة ... عن علاقاته ببقية الطلبة ... بالمدرسين ... أي شيء يخطر ببالك ... فإنني أعتقد أنَّ «هشام» قد اختُطِف!

أدهم: ماذا تقول!

تختخ: لا داعي لأن أشرح لك كل شيء ... ولكنَّ «هشام» كان في زيارتنا اليوم في المعادي ... وقبل أن يدخل منزل صديق لي اختفى!

أدهم: هذا غير معقول!

تختخ: معقول أو غير معقول ... أرجوك ... إنَّ كل دقيقة أو حتى ثانية مهمة جدًّا!

أدهم: هل أنت من مجموعة «عاطف»؟

تختخ: نعم. أنا من مجموعة «عاطف».

أدهم: ليس في حياة «هشام» شيء غير عادي ... إنَّه طالبٌ مُجدٌّ ... ومحبوب ... لم تمنعه إصابته من أن يكون متفوقًا في دراسته ومحبوبًا من الجميع ... الزملاء والمدرسين.

تختخ: وماذا أيضًا!

أدهم: لا أدري ماذا تطلب بالضبط ...

تختخ: لا أريد أن أعرف ... هل تعتقد أنَّ في حياة «هشام» أيَّ شيء يدعو لاختطافه؟!

وساد الصمت لحظات ...

أفكار غامضة!

وبعد قليل ردَّ «أدهم»: لا أعتقد أنَّ في حياة «هشام» ما يدعو لاختطافه!

نظر «تختخ» إلى ساعته قبل أن يقول: الساعة الآن التاسعة والنصف ... هل أستطيع أن أراك بعد نصف ساعة عند كازينو «الجود شوط»؟

أدهم: طبعًا ممكن!

تختخ: إذن سنلتقي هناك.

وضع «تختخ» السماعة ... والتفت إلى الأصدقاء، وقال: ما دام «هشام» ليس غنيًّا ليطلب مختطفوه فدية، فمن المؤكد أنَّ في حياته سرًّا لا يعرفه أحد!

محب: وكيف ستعرف هذا السر؟

تختخ: لا أدري ... ولكن لنحاول معرفة كل شيء عن «هشام» ... وسأقابل «أدهم» بعد نصف ساعة ... وستأتي أنت معي يا «محب»!

عاطف: سأعود للبيت أنا و«لوزة» ... قد يتصل بنا والد «هشام» في أيَّة لحظة.

تختخ: بالضبط ... وأعتقد أنَّ العسكري «بريقع» لا بد قد غادر مكانه الآن.

انصرف «تختخ» و«محب» معًا ... وانصرف «عاطف» و«لوزة» معًا ... وبقيت «نوسة» في المنزل!

ركب المغامران دراجتَيهما في الطريق إلى الكورنيش ... ووصلَا بعد خمس دقائق إلى كازينو «الجود شوط» ووقفَا عند المدخل!

بعد دقائق ظهرت دراجة يركبها ولدٌ طويل القامة نحيف ... أخذ ينظر حوله، فناداه «تختخ» على الفور: «أدهم»؟

اتجه الولد إلى مكان «تختخ» وتبادلَا التحيَّة ... كان واضحًا أنَّه منفعل وشديد القلق لما حدث ... فقال: ما هي الحكاية بالضبط؟

قدَّم «تختخ» «محب» إلى «أدهم» ... ثم روى بسرعة ما حدث منذ نحو ساعتين ... وأخرج ساعة «هشام» من جيبه، وعندما رآها صاح: إنَّها ساعة «هشام» فعلًا!

قال تختخ: أريدك أن تقول لي كلَّ شيء يتعلق بحياة «هشام» ... خاصة في المدرسة.

أدهم: ألتقي بـ «هشام» يوميًّا في السابعة صباحًا عندما يأتي «التاكسي» الذي نركبه معًا للذهاب إلى المدرسة، بعد أن يكون قد مرَّ أولًا على «هشام» ...

تختخ: هل هو تاكسي محدد تركبانِه كل يوم؟!

أدهم: نعم ... إنَّه «تاكسي» محدد اتفقنا معه على توصيلنا إلى المدرسة صباحًا والعودة بنا في نهاية اليوم المدرسي.

تختخ: هل تساعد «هشام» على ركوب التاكسي؟

أدهم: إنَّ «هشام» لا يحب أن يساعده أحد ... إنَّه يعتمد على عصاه البيضاء في عبور الشارع ثم يضعها بجوار سائق التاكسي، ويأخذها منه عند نزوله أمام المدرسة ... ثم يحضر الحصص كأي طالب آخر ... وفي الوقت نفسه فإنَّ عم «سيد» الفراش يُصرُّ على دعوة «هشام» لشرب الشاي في حجرته كل يوم تقريبًا ... وكان يقول له إنَّه يحبه كما لو كان ابنه لأنَّه بلا أولاد، فيحمل عنه عصاه، ويُعدُّ له الشاي الذي يحبه ... وعندما كنا نحاول مشاركته في شرب الشاي، لم يكن عم سيد يرحب بذلك، قائلًا: إنَّ هذا التكريم خاص بـ «هشام» فقط.

وبدا الاهتمام على وجه «تختخ» لما سمع، وقال: وما هو اسم سائق التاكسي ...

أدهم: اسمه موسى، ويقيم قرب نادي المعادي.

تختخ: هل تعرف عنوانه بالضبط؟

أدهم: لا أعرف العنوان، ولكنِّي أستطيع الوصول إلى المنزل.

تختخ: إذن ... سنذهب الآن لزيارته!

ركب الثلاثة دراجاتهم، وغاصوا في شوارع المعادي الضيِّقة حول الاستاد حتى وصلوا إلى قرب حافة الصحراء، واتجه «أدهم» إلى منزل صغير، وأشار إليه قائلًا: هذا هو منزل «موسى».

نظر «تختخ» حوله، لم يكن هناك أثرٌ لسيارة «تاكسي» قريبة، فلعل السائق ما زال يعمل، أو أنَّه ترك سيارته في جراج قريب!

قال «تختخ» من فضلك يا أدهم، اذهب واسأل عن «موسى».

اتجه «أدهم» إلى منزل «موسى»، وغاب دقائق، ثم عاد يقول: زوجته أخبرتني أنَّ «موسى» خرج حوالي الساعة السادسة والنصف من المنزل ولم يَعُد حتى الآن ...

تختخ: السادسة والنصف؟

أدهم: نعم ... نحو السادسة والنصف.

تختخ: هذا خبر مثير!

أدهم: كيف؟

تختخ: هل السائق «موسى» هو الذي يقوم بتوصيل «هشام» في المساء إلى منزل «عاطف» و«لوزة».

أدهم: لا أعرف ...

تختخ: شكرًا لك على مساعدتك ... ستعود أنت و«محب» الآن إلى منزلَيكما، وسأبقى في انتظار «موسى».

محب: سأبقى معك!

تختخ: لا بأس.

أدهم: إذا كان في وجودي أيَّة فائدة لكما فسأبقى!

تختخ: هل تستطيع أن تصف «موسى» السائق؟

أدهم: إنَّه في نحو الخامسة والثلاثين من عمره، قصير القامة، غزير الشعر، مصاب بجرح واضح في ذقنه.

تختخ: ولكن ألم تلاحظ أيَّ شيء ربما يكون قد لفت نظرك وإن لم تفهم مغزاه وقتها؟

فكَّر أدهم لحظة، ثم قال: نعم ... لقد كانت سيارة السائق «موسى» بحاجة إلى عمرة جديدة، ويجب تسليمها للميكانيكي، ولكنَّه أصرَّ على توصيل «هشام» بالرغم من خطورة ذلك على موتور السيارة وفراملها التالفة.

تختخ: شكرًا لك، تستطيع أن تعود إلى منزلك.

أدهم: وكيف أعرف ما سيحدث بعد ذلك؟

تختخ: سنتصل بك تليفونيًّا ...

انصرف أدهم، واختار «تختخ» و«محب» صخرة بارزة في الجبل وجلسَا عليها ... وهما يراقبان منزل «موسى» ... مضت ساعة ... ثم ساعة أخرى، وقال «محب»: أظن أنَّ صاحبنا لن يعود الآن ...

تختخ: سنظل في مكاننا إلى أن يعود.

وفجأة برز شبح من الظلام راح يقترب من المكان في حذر ... وأشار «تختخ» إلى «محب» هامسًا: انظر إلى هذا الرجل.

وكان الشبح ملثَّمًا، لا تظهر ملامحه بسبب الظلام ... وهمس «تختخ» لـ «محب»: دعنا نتبعه دون أن يشعر بنا ... فإنني أحس أنَّ له دورًا في هذا اللغز.

وفي حذر راح المغامرون يتتبعان الشبح الملثم الذي اقترب من المساكن القليلة في حافة الصحراء، ثم اختفى داخل إحداها.

محب: ماذا نفعل الآن ... هل نذهب خلف هذا الرجل؟

تختخ: لن يكون ذلك من الحكمة في شيء ... فلعله مسلح وأحسَّ بنا ونصَبَ لنا كمينًا.

محب: إنَّني أشعر أنَّ له علاقة بذلك السائق بسبب حركاته ومظهره المريب.

تختخ: ولكننا لن نستطيع أن نحصل منه على أي معلومات.

محب: ولكن لماذا أتى هذا الرجل إلى موسى متخفيًا بمثل هذه الطريقة؟

تختخ: مَن يدري ... لعل الاثنين عضوان في عصابة كبيرة ...

قال «محب» في دهشة: وهل تظن أنَّ نشاط هذه العصابة هو خطف الأولاد ...

إنَّ أسرة «هشام» من الناس متوسطي الحال ولن يمكنهم دفعُ أيِّ فدية إذا طلبها الخاطفون.

تختخ: مَن يدري لماذا اختطفت هذه العصابة «هشام»؟!

محب: دعنا نختفي في الظلام حتى نكون في مأمن من العيون.

لم يكد «محب» ينتهي من جملته حتى سمعَا دويَّ محرك سيارة، ثم ظهرت سيارة «تاكسي» من طراز «فيات» أخذت تتقدم حتى وصلَت إلى قرب منزل «موسى» ثم توقَّفت ... ونزل منها رجل تنطبق عليه أوصاف «موسى» بالضبط ... كان شعره من الغزارة بحيث يجعله يُشبه القرد ... وقد حمل في يده مجموعة من أكياس الطعام.

برز «تختخ» من الظلام وانتظر حتى مرَّ «موسى» تحت أحد أعمدة النور ثم أسرع خلفه، وقال مناديًا: أسطى «موسى»!

التفت الرجل وقد بدَت في عينَيه اللامعتين نظرة دهشة وتساؤل ولم يردَّ!

تقدم منه «تختخ» وقال: إنَّني صديق «هشام»!

وركز «تختخ» نظراته الفاحصة على الرجل الذي أخذ ينظر إليه بارتباك.

وقرر «تختخ» أن يجرب مفاجأة «موسى»، فقال له: بعد أن أوصلت «هشام» إلى المعادي اليوم ... أين ذهب؟

وردَّ «موسى» على الفور: لا أعلم.

تختخ: ألم ترَ شيئًا غير عادي عندما نزل من السيارة.

رد «موسى»: !

تختخ: إنَّ «هشام» اختفى ... والشرطة في مصر كلها تبحث عنه!

كان وجه «موسى» جامدًا وهو يقول: هذه مسألة لا علاقة لي بها!

ثم استدار ودخل منزله، وعاد «تختخ» إلى ركنه المظلم مع «محب»، ولم يركبَا دراجتَيهما، بل بقيَا ينتظران في الظلام بعض الوقت، ثم قال «تختخ» لـ «محب»: أقترح أن تعود أنت إلى المنزل، وسوف أبقى أنا وأدهم هنا للمراقبة ... وإذا حدث أيُّ جديد سأتصل بك لمتابعة الأخبار.

ردَّ «محب» قائلًا: وقد يكون لدى بقية الأصدقاء أخبار جديدة، فاتصل بنا بعد نصف ساعة على أي حال.

تختخ: سأحاول ... مع السلامة!

ومضى «محب».

خواطر غامضة!

ظلَّ «تختخ» قابعًا في مكانه ... ولم يستمرَّ انتظاره طويلًا ... وما كان يتوقعه حدث ... فقد خرج «موسى» من منزله بعد نحو نصف ساعة ... كان قد غيَّر ملابسه ... وحمل حقيبة صغيرة، ووقف ينظر حوله لحظات ثم اتجه إلى سيارته ... واستطاع «تختخ» من مكانه أن يعرف رقم السيارة ... وطبعًا كان يعرف نوعها.

انطلق «موسى» مسرعًا بسيارته ... ولم يكن أمام «تختخ» ما يفعله، فقفز إلى دراجته ... وعند أول المعادي دخل محل «الميني ماركت»، وطلب استخدام التليفون للأهمية ... اتصل بمكتب المفتش «سامي». ولم يكد المفتش يسمع صوته حتى قال له: أين أنت أيها المغامر العزيز؟

ردَّ «تختخ»: وراء صيد!

المفتش: أوَهل وقع في الشباك؟

تختخ: إنَّ هذا متوقف على جهود رجالك!

المفتش: هل لهذا علاقة بما يُقال عن اختطاف طالب كفيف يُدعى «هشام»؟

تختخ: كيف عرفت؟

المفتش: لقد اتصل بي قسم حلوان والمعادي، وعلمت بما حدث ... وقالوا إنَّه كان في زيارة صديق له في المعادي اسمه «عاطف»، وهناك طبعًا أكثر من شخص يُدعى «عاطف»، ولكنِّي استنتجت أنَّه زميلك في المجموعة!

تختخ: هذا صحيح!

المفتش: لقد دخلت مكتبي منذ عشر دقائق فقط، ووجدت مذكرة بالاتصالات التي تمت في هذا الموضوع.

وقد حاولت الاتصال بـ «عاطف»، ولكن التليفون مشغول طول الوقت ... واتصلت بمنزلكم وعرفت أنَّك في الخارج ... وتوقعت أن تكون منهمكًا في جمع المعلومات!

تختخ: هذا صحيح ... وأظنني وقعت على صيد ثمين، وحتى لا نُضيعَ الوقت أرجو أن تطلب البحث عن سواق يُدعَى موسى في سيارة بطريق المعادي ٥٥٥١١ ملاكي القاهرة، وقد غادرت منزل السائق موسى الذي يقع في أطراف المعادي منذ أقل من ربع ساعة.

المفتش: سأُعطي تعليماتي فورًا للبحث عنه، واتصل بي بعد قليل.

تختخ: سأعود الآن إلى البيت وأتحدث إليك من هناك!

وضع «تختخ» السماعة وقد أحسَّ بالرضا عن نفسه ... لقد توصَّل إلى أشياء كثيرة في مدة قصيرة ... ولكن المشكلة الحقيقية هي ... لماذا اختطفوا «هشام»؟

ركب دراجته واتجه إلى منزله ... وكان والده ووالدته يجلسان أمام التليفزيون، وصاحت والدته عندما رأته: إننا في انتظارك لتناول العشاء!

تختخ: بعد ربع ساعة إن أمكن.

ثم اتجه إلى الصالة حيث يوجد التليفون، واتصل بالمفتش «سامي» الذي ردَّ على الفور قائلًا: أين أنت؟

تختخ: في البيت!

المفتش: ما هي الحكاية بالضبط؟

روى «تختخ» للمفتش قصة الساعة الماضية منذ وصول «هشام» إلى منزل «عاطف».

رد المفتش «سامي»: إنَّ الموقف جد خطير الآن، إنَّ المعلومات التي وصلتني عن هذه العصابة تؤكد أنَّ «هشام» في موقف لا يُحسد عليه، ولا بد من التحرك سريعًا؛ فهم لا يتورعون عن إيذاء أي إنسان يعترض طريقهم.

قال تختخ: على أي الأحوال، ساعة «هشام» معي ...

المفتش: إنَّها دليل يجب أن يكون في حوزة الشرطة!

جلس «تختخ» إلى مائدة العشاء، وقد استغرق في تفكير عميق، وقال والده: ما هي الحكاية؟

تردد «تختخ» قليلًا، ثم قال: مسألة ... أعني موضوعًا خاصًّا بنا!

الأب: ماذا تعني بنا هذه؟!

تختخ: أقصد مجموعة «المغامرين الخمسة»!

الأب: مشاكل جديدة؟

تختخ: لغز!

الأب: إنني معجب بك يا «توفيق» ... فأنت من أنصار العدالة، ولكني أخاف عليك!

تختخ: إنَّنا لا نطارد المجرمين كما يتصور بعض الناس ... إنَّنا فقط نقوم بالبحث عن الحقائق ... ثم بالاستنتاجات وجمع الأدلة.

الأب: وما هي القضية الآن ... أو ما هو اللغز؟

تختخ: إنَّه اختفاء صديق!

الأب: اختفاء.

وفي هذه اللحظة دقَّ جرس الباب ... وقفز «تختخ» من مكانه مسرعًا بين دهشة الأب والأم ... ثم أسرع يفتح الباب ... وكم كانت مفاجأة أن يجد الشاويش «علي» أمامه ... قال الشاويش دون مقدمات: هات الساعة! أراد «تختخ» أن يداعبه، فقال: أيَّة ساعة يا حضرة الشاويش؟

الشاويش: أنت تعرف ساعة مَن.

تختخ: إنني أريد أن أسمع منك.

الشاويش: ساعة الولد المخطوف.

تختخ: إذن هناك ولد مخطوف يا شاويش.

ارتبك الشاويش لحظات، ثم صاح: ماذا تقصد؟

تختخ: أقصد أنَّك لم تصدق «عاطف» عندما قال لك إنَّ عنده بلاغًا عن ولد مخطوف، وطلبت من العسكري «بريقع» أن يقبض عليه ... لماذا لا تصدقنا يا شاويش. إننا لا نعبث!

وناول «تختخ» الساعة للشاويش الذي خطفها خطفًا ثم انطلق على دراجته العتيقة مبتعدًا!

اتصل «تختخ» بـ «عاطف» ... ولم يكن هناك جديد، واتصل بالمفتش «سامي» وقد قاربت الساعة منتصف الليل ... فقال له المفتش: لقد اختفى السائق والسيارة تمامًا ... ولكن رجالنا سيعثرون عليه.

قضى «تختخ» بقية الليل بين اليقظة والنوم ... كان وجه «هشام» الطيب يبدو له كالحلم ... وهو يفكر ... أين ذهب؟ لماذا خطفوه؟! وأخذ يُعيد ما سمعه من «عاطف» ومن «أدهم» مرة ومرات ... محاولًا أن يجد شيئًا يفسر هذا اللغز العجيب ... وعندما نام قرب الفجر، كان ثمة شيء ما يدور بخاطره ... شيء غريب قد يكشف الحقيقة وقد يكون مجرد سراب ... وعندما استيقظ في اليوم التالي ... تناول إفطاره سريعًا، ثم اتصل بالمفتش

«سامي» فلم يجده في مكتبه ... ولم ينتظر ... ارتدى ثيابه ثم قفز إلى دراجته متجهًا إلى مدرسة «هشام» ... فهو يعلم أنَّ مدرسة «هشام» مفتوحة أيام الأحد، في حين أن مدرسته هو تُغلق أبوابها.

وصل إلى المدرسة بعد نصف ساعة تقريبًا ... وكان التلاميذ يتدفقون على المدرسة ... وركن دراجته عند السور، وأخذ يبحث عن «أدهم» صديق «هشام».

المستفزون الخمسة!

ظهر «أدهم» قادمًا بدراجته، وأسرع «تختخ» يعترض طريقه، ويُوقفه بإشارة من يده ... كان كلُّ شيء عاديًّا في هذه اللحظة ... ولكن فجأة ظهر خمسة تلاميذ يركبون الموتوسيكلات، وأسرعوا إلى حيث وقف «تختخ»، وفوجئ «تختخ» بأنَّ أحدهم قد اقتحم دراجتَه بالموتوسيكل، ولولا أنَّ «تختخ» أسرع ينحرف بالدراجة بعيدًا لتحطمت!

صاح «تختخ»: ما هذا؟

رد راكب الموتوسيكل: إنَّك غريب عن هذا المكان ... ماذا تفعل هنا؟ وماذا تريد من «أدهم»؟

تختخ: إنني صديقه!

الولد: هذه أول مرة نراك هنا!

تختخ: لقد جئت للحديث في موضوع هام مع «أدهم»!

الولد: أي موضوع؟

تختخ: إنَّ هذا ليس من اختصاصك.

الولد: أي شيء يحدث في هذه المدرسة أو لأي طالب فيها هو من اختصاصنا!

ونظر راكب الموتوسيكل إلى بقية زملائه، فهزوا رءوسهم موافقين، وقال أحدهم: من الأفضل لك أن تنصرف فورًا، وإلا ...

تختخ: وإلا ماذا؟

الولد: وإلا أصبحت أنت ودراجتك عجينة واحدة!

تختخ: إنَّ ما جئتُ من أجله يخص صديقًا لكم ... أو زميلًا لكم في المدرسة.

الولد: تقصد أدهم!

تختخ: لا ... إنَّه «هشام».

تبادل الأولاد النظرات ... وقال أحدهم: «هشام» الولد الكفيف؟

تختخ: نعم!

الولد: وماذا تريد من «هشام»؟

تختخ: لقد اختفى أمس ... والشرطة تبحث عنه!

تبادل الأولاد الخمسة النظرات مرة أخرى ... وساد صمتٌ قطعه جرس المدرسة وهو يُعلن بدء اليوم الدراسي ... وقال «أدهم»: يجب أن أذهب الآن!

وأسرع يقفز إلى دراجته ... كان واضحًا أنَّه خائف من شيءٍ ما ... وقال «تختخ» بهدوء: ما هي معلوماتكم عن «هشام»؟

ردَّ أحد الأولاد باستهتار: إنَّك تقوم بدور الشرطة ... وأنت لست شرطيًّا، من الأفضل أن تذهب إلى مدرستك!

كان رأي «تختخ» مثل رأي هذا الولد ... فهو وحده لن يستطيع مواجهة هؤلاء الأولاد ... وكلٌّ منهم يركب «موتوسيكل» أقوى من دراجته عشرات المرات.

قال «تختخ»: إنَّها نصيحة طيبة أيها الصديق.

عاد الولد يقول: وسأنصحك نصيحة أخرى ... من الأفضل لك أن تنسى حكاية «هشام» تمامًا!

تختخ: دعك من هذا الموضوع الآن.

قفز «تختخ» إلى دراجته ... ثم اتجه إلى الطريق العام ... ومن خلفه انطلقت الموتوسيكلات ... وأخذ الأولاد يدورون حوله في عملية استفزاز واضحة ... ولكنَّه ظل محتفظًا بهدوئه وهو يفكر في أنَّ مسألة «هشام» تزداد تعقيدًا، وأحسَّ أنَّ ثمة أشياء كثيرة تدور في هذه المدرسة وخارجها لها علاقة باختفاء صديقه الضرير.

ازداد قرب راكبي الموتوسيكلات من «تختخ»، وخطرت على باله فكرة نفَّذها فورًا ... كان قد اقترب من مقهًى لاحظَ أنَّ به جهاز تليفون، فأوقف دراجته أمام المقهى، ثم دخل واتجه إلى التليفون، وطلب المفتش «سامي»، الذي ردَّ عليه فورًا، فقال «تختخ»: سيادة المفتش ... إنني في المعادي الآن ... وهناك ظواهر غريبة تحدث من حولي، أفضل لو سمحت أن تراقب ما يحدث بنفسك!

المفتش: أين أنت الآن بالضبط؟

سأل «تختخ» أحد الجالسين عن العنوان، ثم أملاه للمفتش قائلًا: سأنتظر سيادتك في المقهى.

عندما خرج «تختخ» من المقهى وجد الأولاد الخمسة الذين يركبون الموتوسيكلات يقفون على الناصية ينتظرون خروجه، فجلس على كرسي وطلب زجاجة مياه غازية، ثم وضع ساقًا على ساق في شكل استفزازي، ودار الأولاد دورة واسعة ثم عادوا. وكان «تختخ» ينظر إلى ساعته خلسة ... فالمفتش لن يصل قبل نصف ساعة ... وفي هذه الفترة يمكن أن يحدث الكثير ... نزل أطول الأولاد وأكثرهم ضخامة من الموتوسيكل وتقدَّم إلى «تختخ»، وقال له: أنزل ساقك هذه قبل أن أكسرها.

كانت خطة «تختخ» كسب الوقت لحين حضور المفتش «سامي»، فقال في رقة: هل يضايقك أن أضع ساقًا على ساق؟

الولد: يضايقني جدًّا ... وأكثر من هذا أنت لست من هذا المكان، ومن الأفضل أن تغادره فورًا!

تختخ: إنني في انتظار صديق، وأدعوك أنت وبقية زملائك إلى تناول بعض المرطبات.

الولد: هل تريد أن تقول إنَّك غني؟

تختخ: مطلقًا، فليس معي إلا ثلاثمائة جنيه لا غير!

صاح الولد: ثلاثمائة جنيه.

تختخ: هل هذا مبلغ كبير؟

الولد: مع ولد مثلك يصبح مبلغًا كبيرًا ... من أين لك هذا المبلغ؟

تختخ: إنني أقوم بتوزيع بضائع، وأتقاضى عمولة عن هذا العمل.

كان «تختخ» يتعمد شدَّ انتباه الولد ... وكسْبَ مزيد من الوقت حتى يصل المفتش «سامي»، وبالفعل استطاع أن يشد انتباه الولد، الذي سأله: أي نوع من البضائع؟

تختخ: لا أستطيع أن أقول لك!

الولد: لماذا؟

مال «تختخ» على أُذن الولد، وقال: إنَّها بضاعة محرَّمة قانونًا.

بلع الولدُ ريقَه، ثم قال: سأعود إليك.

اتجه الولد إلى بقية المجموعة وأخذ يتحدث إليهم ... بفراسة «تختخ» المغامر شعر أنَّ حديثه مع هذا الولد حول البضاعة المحرمة قانونًا الذي يقوم بتوزيعها قد أثمرت وأثَّرت في الولد ... وهو الآن — كما يخمن «تختخ» — يقترح على أصحابه أن يضم «تختخ» إلى صحبتهم.

وعندما بدأ عائدًا ... قام «تختخ» من مكانه، واتجه إلى التليفون، وأخذ يتظاهر بأنَّه يطلب رقمًا مشغولًا ... فيُدير القرص ثم يضع السماعة على أُذنه ... ويضعها مكانها ...

ثم يعاود الاتصال والمحاولة ... والولد يقف خارج المقهى في انتظار أن ينتهيَ «تختخ» من المكالمة ... على حين ظلَّ «تختخ» ممسكًا بجهاز التليفون مكررًا محاولاته وهو ينظر إلى ساعته خلسة، كانت الدقائق تمر بطيئة ... وكأنَّ الساعة توقفت عن الدوران ... وجاء أحد الزبائن يريد التحدث في التليفون، وتنحَّى «تختخ» جانبًا، وأخذ الرجل يتصل بالتليفون ... وأشار الولد إلى «تختخ» أن يخرج. ولكن «تختخ» أشار إليه أنَّه لا بد أن يتحدث تليفونيًّا.

نظر «تختخ» إلى ساعته ... كان قد بقيَ نحو خمس دقائق على وصول المفتش ... وجاءت اللحظة التي يريدها ... خرج من المقهى واتجه إلى الولد، وقال له: هل تملكون هذه الموتوسيكلات التي تركبونها؟

ردَّ الولد: لماذا تسأل؟

تختخ: لأنَّ منظركم يدل على أنَّكم مجرد متشردين!

ذهل الولد، وقال: هل أنت تجرؤ ...

رفع «تختخ» يدَه بكل ما يملك من قوة، ثم وجَّه لكمة صاعقة إلى الولد أسقطَته أرضًا ... وارتفع صوت الموتوسيكلات وهي تتجه نحو «تختخ» الذي وقف مكانه يبتسم في هدوء.

العصا البيضاء!

اقتربت الموتوسيكلات من المقهى ... في حين وقف بعض الجالسين في المقهى ... وركن الأولاد الأربعة الموتوسيكلات واتجهوا كالوحوش إلى «تختخ»، على حين كان زميلهم يحاول الوقوف.

هاجم الأربعة «تختخ»، الذي انسحب سريعًا إلى داخل المقهى، وحدث هرج ومرج ... وتوقَّف بعض السائرين ... وارتفعت الصيحات. وفي هذه اللحظة وقفت سيارة سوداء وخلفها سيارة أخرى، ونزل المفتش «سامي» يحيط به ثلاثة من الضباط وبعض الجنود، وصاح أحد الضباط: قفوا في أماكنكم، واتجه المفتش «سامي» إلى «تختخ»، وقال: ماذا حدث؟

حاول الأولاد الخمسة الهرب ... ولكن إشارة من مسدس الضابط أوقفَتهم في أماكنهم.

قال «تختخ»: أعتقد أنَّ لهؤلاء الخمسة صلة باختفاء «هشام»!

المفتش: هل تعرف أننا لم نبدأ البحث حتى الآن بصفة رسمية؟

تختخ: أعرف!

المفتش: كيف عرفت؟

تختخ: لا بد أن تمرَّ أربع وعشرون ساعة على الإبلاغ عن اختفاء أيِّ شخص قبل البحث عنه!

المفتش: إنَّك ولد رائع، المهم الآن ماذا حدث؟

تحدث «تختخ» هامسًا إلى المفتش «سامي» الذي أصغى إليه باهتمام، وقال: أرجو أن نذهب إلى المدرسة، إنني أريد أن أسأل فرَّاشًا هناك يُدعى «سيد» بعض الأسئلة، وأعتقد أنَّ له علاقة بحادث الاختطاف!

قال أحد الأولاد: هذا الولد اعتدى على زميلٍ لنا!

المفتش: سوف نحقق معكم جميعًا.

الولد: إننا لم نفعل شيئًا لتحقق معنا!

المفتش: هذه مشاجرة ... ولا بد أن نعرف سببها.

الولد: ولكن.

أشار المفتش «سامي» إلى أحد الضباط، وقال: أحضرهم جميعًا إلى قسم المعادي ... سأذهب في مهمة لمدة ساعة وأحضر إليكم فيما بعد، واتجه «تختخ» راكبًا دراجته إلى المدرسة ... وبجواره في الطريق المفتش «سامي» راكبًا سيارته.

عند باب المدرسة، وقف «تختخ» يتحدث إلى المفتش لحظات ... وكان المفتش يستمع إليه وعلى وجهه علامات الدهشة ... ثم قال في نهاية الحديث: إذن سأذهب وحدي.

تختخ: أعتقد أنَّ هذا هو الأفضل!

المفتش: إذن انتظر في السيارة!

وصل المفتش إلى المدرسة ... وجلس «تختخ» يفكر وحده فيما حدث، كان قد توصَّل إلى عدة استنتاجات قد تكون خاطئة ... أما إذا كانت صحيحة فمن المؤكد أنَّهم سيصلون إلى مكان «هشام» خلال ساعات قليلة.

غاب المفتش في المدرسة نحو نصف ساعة ثم خرج ... وعندما اقترب من السيارة قال للسائق: اركب الدراجة إلى قسم المعادي ... سأقود السيارة بنفسي ... ثم أشار إلى «تختخ» أن يجلس بجواره، ثم قال: الأخبار مقلقة جدًّا.

خفق قلب «تختخ» سريعًا وهو يسأل: كيف؟

المفتش: إنَّ ما قلته قريب جدًّا من الحقيقة!

تختخ: هل سألت الفراش «سيد»؟

المفتش: إنَّه لم يحضر إلى العمل اليوم!

قال «تختخ»: هذا ما توقعتُه بالضبط.

المفتش: هذا صحيح.

تختخ: كما هرب السائق «موسى» هرب «سيد» الفراش، كلاهما مشترك في جريمة الخطف.

المفتش: هذا واضح، ولكن كيف توصلتَ إلى هذه الاستنتاجات ... إنَّ ناظر المدرسة أكَّد لي أنَّ بعض الطلبة في المدرسة أصيبوا بحالات تشنج وإغماء ... وبعضهم تغيب تمامًا عن المدرسة ... وأنَّه طلب تحقيقًا في الموضوع وأبلغ الوزارة!

تختخ: إنني أسمع منذ فترة وجيزة عن وجود موزعين لحبوب الهلوسة والحبوب المخدرة في هذه الناحية، وقد ربطت بين اختفاء «هشام» وبين هذه العملية الحقيرة!

المفتش: إنَّ كل دقيقة تمرُّ ليست في صالحنا ... علينا أن نذهب فورًا إلى بولاق الدكرور.

تختخ: وماذا سنفعل هناك؟

المفتش: سنذهب للقبض على سيد الفراش ... وأرجو ألَّا نصل متأخرين.

تختخ: وذلك السائق موسى؟

المفتش: سأعطي أوامري بالقبض عليه فورًا.

وأدار المفتش محرك سيارته وانطلق بها، و«تختخ» بجواره، وأجرى المفتش حديثًا تليفونيًّا إلى رجاله يطلب منهم سرعة القبض على السائق موسى، وانطلقت سيارة المفتش في طريقها إلى القاهرة ... ثم إلى حي بولاق الدكرور.

كان الوقت عصرًا ... وقد ازدحمت شوارع الحي الكثيفة السكان بآلاف من البشر، وقاد المفتش سيارته داخل الشوارع الضيقة المتعرجة.

وأخيرًا توقفت السيارة أمام منزل سيد الفراش ... وتحسس المفتش مسدسه تحت سترته، ثم تقدم من المنزل وطرق بابه.

وفجأة سمع «تختخ» صوتًا مكتومًا من الخلف، فاندفع يدور حول المنزل ومعه المفتش، فشاهدَا شخصًا ملثمًا وهو يندفع بكل سرعته هاربًا وسط الحواري والأزقة الضيقة، وتذكَّر «تختخ» ذلك الملثم الذي شاهده بالقرب من منزل سيد السائق ... فاندفع خلفه وأشهر المفتش مسدسه واندفع أيضًا يطارد نفس الشخص، ولكن الرجل الملثم تمكَّن من الاختفاء وسط الأزقة الضيقة.

ووقف «تختخ» وهو يلهث ويتطلع حوله، وقال المفتش غاضبًا: لا بد أنَّه فراش المدرسة وقد استطاع الهرب من نافذة خلفية بمنزله ... ولكنني أتعجب كيف يمكن لشخص متقدم في السن الجري بمثل هذه السرعة؟

تختخ: لا أظن أنَّ هذا الملثم هو فراش المدرسة ... فقد شاهدتُ هذا الملثم بالقرب من منزل موسى السائق ... واختفى وسط الظلام مثل الشبح كما فعل هذه المرة.

المفتش: ولكن مَن هو هذا الملثم، وما علاقته باختفاء «هشام» وموسى السائق؟

تختخ: لا بد أنَّ هناك علاقة من نوع ما ... لعله أحد أفراد هذه العصابة ... ولو كنَّا قد تمكنَّا من القبض عليه لانكشفَت أشياء كثيرة.

المفتش: سوف أحصل على إذن من النيابة بتفتيش مسكن الفراش.

واتجه إلى سيارته وأجرى اتصالًا تليفونيًّا طالبًا من رجاله الحصول على إذن من النيابة بتفتيش المكان.

وبقيَ المفتش و«تختخ» جالسَين في سيارة المفتش قرابة ساعة وهما يراقبان القادمين والذاهبين. وأخيرًا جاء أحد رجال المفتش بالتصريح المطلوب.

دفع المفتش باب المسكن بقوة فانفتح على مصراعَيه ... وطالعَته العتمة في الداخل، فأشهر سلاحه احتراسًا.

وأضاء «تختخ» نور الصالة، كان المكان يكاد يكون خاليًا من الأثاث، كأنَّ صاحبه قد قام بنقل كل ما استطاع نقله قبل وصول الشرطة ... ولاحظ «تختخ» نافذة تُطلُّ على حارة ضيقة من الخلف، فمن المؤكد أنَّ الرجل الملثم تمكَّن من الهرب خلالها، ولم يعثر المفتش و«تختخ» على شيء، فأعادَا إغلاق باب الشقة وغادراها إلى سيارة المفتش.

وما كادت السيارة تتحرك، حتى دقَّ جرس التليفون بها، فرفع المفتش السماعة واستمع قليلًا، ثم قال في راحة: عظيم ... أحضروه فورًا إلى قسم المعادي، وسألحق بكم حالًا.

والتفت إلى «تختخ» قليلًا وهو يعيد السماعة مكانها: لقد قبضوا على السائق موسى عند مشارف الإسماعيلية وهو يحاول الهرب.

ووصلَا بالسيارة إلى قسم المعادي ... ولم يكَد الشاويش «علي» يرى «تختخ» وهو يدخل بجوار المفتش إلى القسم حتى احتقن وجهه غضبًا!

جلس المفتش «سامي» بجوار الشاويش «علي» الذي بدَا مرتبكًا وهو يقول: إنني عندما ... دخل راكبو الموتوسيكلات ... كان واضحًا أنَّهم تخلَّوا عن زهوهم الفارغ بعد أن أدركوا أنَّ «تختخ» لم يكن الصيدَ السهل الذي تمنَّوه.

قال المفتش: والآن أيها الأصدقاء ... ما هي علاقتكم بـ «هشام»؟

ردوا جميعًا في نفَس واحد: إننا لا نعرفه!

المفتش: إنَّ أيَّ كذب سيكون ضدكم ... لقد عرفت من أكثر من مصدر أنَّكم تعرفونه جيدًا.

قال أحد الأولاد: إننا فقط نراه عندما يحضر إلى المدرسة.

المفتش: وهل أنتم طلبة في المدرسة؟

ردَّ أحد الأولاد في ارتباك: إننا في إجازة من المدرسة.

المفتش: ما معنى إجازة من المدرسة؟

ساد الصمت، وقال المفتش: لقد علمتُ من الناظر أنَّكم قد فُصلتم من المدرسة لسوء السلوك.

أحنَى الخمسة رءوسهم، وقال المفتش: آسف أن أقول لكم: إنَّ وضعَكم حرجٌ للغاية في قضية اختطاف «هشام».

قال أحد الأولاد: أُقسم لك يا حضرة المفتش، أن لا علاقة لنا باختطاف «هشام».

المفتش: وما علاقتكم بالسائق «موسى» والفراش «سيد»؟

أحنى الخمسة رءوسهم، وقد بدَا واضحًا أنَّ المفتش يعرف الكثير.

في هذه اللحظة، سُمعت ضجة عند الباب، وظهر بعض الرجال وبينهم السائق «موسى» ... وكان أحد رجال الشرطة يحمل عصًا بيضاء، لم يكَد «تختخ» يراها حتى صاح دون وعيٍ: كما توقعتُ بالضبط!

ابتسم المفتش وهو يقول: لقد وصلت إلى كل شيء بأسرع من البرق!

قال «تختخ»: هل تسمح لي يا سيدي المفتش بهذه العصا لحظة واحدة!

ناول المفتش العصا إلى «تختخ» الذي أخذ يقلِّبها لحظات، ثم يدقُّ عليها ... ويضعها بالقرب من أُذنه ... ثم أمسك بالمقبض وأخذ يُحاول إدارته ولكنَّه لم يستطع.

قال المفتش بالطبع لا تُفتح، فهذه هي العصا الجديدة التي كانت مع «هشام» حينما اختُطف.

ردَّ «تختخ» إلى المفتش «سامي» قائلًا: تفضَّل يا سيادة المفتش، أرجو أن تُرسل إلى منزل «هشام» لتُحضر العصا القديمة.

بعد ربع ساعة جاء والد «هشام» ووالدته إلى القسم ومعهما العصا القديمة، وكانت تُشبه العصا التي بين يدي المفتش «سامي» تمامًا.

قال المفتش مبتسمًا: والآن من حقك أنت أيها المغامر أن تُعلن المفاجأة ... التقط «تختخ» العصا القديمة، وأدار مقبضها ثم أمال العصا على المكتب ودقَّها برفق، وإذا بالمفاجأة ترسم علامات الدهشة على وجوه الحاضرين؛ فقد نزل منها عددٌ من اللفائف السوليفان الشفافة، بعضها كان يحوي حبوبًا ملونة، والبعض الآخر كان به مسحوق أبيض اللون يميل إلى السمرة.

قبل أن يبدأ التحقيق!

قال المفتش: هذه هي السموم التي بدأت تنتشر بين الشباب ... سموم مدمرة للعقل والجسد ... حبوب الهلوسة ... ومسحوق الهيروين!

وصل «محب» و«نوسة» و«عاطف» و«لوزة» في هذه اللحظة، وصافحهم المفتش مُرحِّبًا، وقال: أعتقد أننا في ساعات قليلة سوف نكشف النقاب عن هذه القصة كلها!

تختخ: أظنني توصلت إلى استنتاجات محددة حول هذا الموضوع ... المهم أن نَصِل إلى مكان «هشام»!

المفتش: سنصل بعد أن تشرح لنا ماذا في رأسك!

وقبل أن يبدأ «تختخ» حديثَه، قال المفتش لوالدَي «هشام»: أرجو أن يقضيَ «هشام» الليلة في منزله!

صاحَت الأم: صحيح!

المفتش: أرجو ذلك!

الأب: هل وصلتم إلى مكانه!

المفتش: خلال الساعات القادمة سنصل إليه ... أرجو أن نستمع أولًا إلى صديقنا الشاب!

نظر «تختخ» أمامه ... كانت الغرفة مزدحمة ... وبدَا له أنَّه يُشبه مدرِّسًا في فصل ... وتلعثم قليلًا ... ولكن المفتش أشار إليه مشجعًا، فقال: لفت نظري منذ البداية العصا البيضاء التي يحملها «هشام»؛ فقد قال لي صديقه إنَّ «هشام» يُسلِّم العصا لسائق التاكسي «موسى» قبل الصعود، ثم يتسلمها منه عند المدرسة. وفي أثناء الفسحة كان «سيد» الفراش يُصرُّ على دعوته لشُرْب الشاي في حجرته دونًا عن كل زملائه، ويحمل عنه عصاه فترةَ شُرْب الشاي، مدَّعيًا أنَّه يشعر كأنَّ «هشام» مثل ولده، والحقيقة أنَّ الهدف من دعوة الفرَّاش

إلى «هشام» لشُرْب الشاي كان هو الحصول على عصا «هشام» لبعض الوقت أثناء انشغال «هشام» بشرب الشاي بدون أن ينتبه إلى ما يفعله الفرَّاش بالعصا ... وبعد ذلك وأثناء عودة «هشام» إلى منزله بواسطة التاكسي يُسلِّم عصاه إلى سائقه مرة أخرى. ومعنى هذا أنَّ هذه العصا تقوم بدورٍ ما ... وهذا هو ما استنتجتُه عندما عرفت أنَّ السائق والفراش يُصرَّان على حمل عصا «هشام» بالرغم من أنَّه لم يكن هناك داعٍ لذلك أبدًا ... فما هو الدور الذي كانت تقوم به العصا في أيدي السائق والفراش؟

حبس الجميع أنفاسهم و«تختخ» يُكمل حديثه: إنَّها تنقل هذه السموم من «موسى» إلى «سيد» الذي يقوم بتوزيعها ... إنَّها بالطبع ليست العصا البيضاء الأصلية التي يستخدمها المكفوفون ... ولكنها عصا مجوفة استُبدلت بالعصا الأصلية لتقوم بمهمة التهريب ... ومَن الذي سيشكُّ في تلميذ كفيف مجتهد ومن أسرة طيبة في أنَّه يقوم بتهريب هذه الحبوب ... وهذا المسحوق القاتل خلال عصاه؟

وسكت «تختخ» لحظات بين إعجاب الجميع، ثم قال: ثم يأتي السؤال الهام ... لماذا خطفوا «هشام»؟!

المسألة واضحة، إنَّ العصا وصلت فارغة إلى المدرسة صباح أمس! لسبب بسيط أنَّ السائق «موسى» قرر خداع العصابة التي يعمل معها ... وأن يأخذ لنفسه الهيروين ... لأنَّه كان بحاجة إلى مبلغ كبير لإصلاح سيارته ... ففكَّر في إفراغ العصا وأخذ الهيروين منها ليبيعه ويصلح سيارته بثمنه ويدَّعي أنَّ «هشام» هو الذي أخذ الهيروين ... وهكذا قررت العصابة خطف «هشام» واستجوابه.

قال المفتش: استنتاجات قوية وذكيَّة ... ولكن لماذا لم يَقُم «موسى» بخطف «هشام» ما دام كان يركب معه السيارة ... لماذا انتظروا حتى ينزل «هشام» ثم خطفوه من أمام المنزل؟

تختخ: المسألة بسيطة يا سيدي المفتش، إنَّ «موسى» رفض أن يتم الخطف بسيارته لأنَّها معروفة للجميع ... ولإبعاد الشبهة عنه، أوصل «هشام» إلى منزل «عاطف» وكانت العصا خلف سيارة موسى في سيارة أخرى ... وأُرجِّح أنَّ في هذه السيارة تليفونًا؛ لأنَّهم اتصلوا بمنزل «عاطف» عندما كانت «لوزة» تهبط السلَّم لفتح الباب حتى تتعطل دقائق لتتمكن العصابة من خطف «هشام»!

وصمت «تختخ» لحظات بين إعجاب الجميع، ثم عاد يقول: والدليل على أنَّ «موسى» خان العصابة هذه المخدرات التي عثرنا عليها معه ... أليس كذلك يا «موسى»؟

هزَّ السائقُ رأسَه علامة الموافقة ... فعاد «تختخ» يسأله: هل فيما قلت الآن خطأ؟

قال «موسى» بصوت خافت: هذه المعلومات صحيحة كلها، ولكني لم أشترك في خطف «هشام»!

تختخ: بل اشتركت، ولديَّ الدليل ... فلا يمكن لأحد أن يعطيَ العصابة رقم تليفون «عاطف» إلا أنت، وهذا يدل على أنَّك مشترك معها ... فلا بد أنَّك حصلت عليه من «هشام» بطريقةٍ ما ... ولعل «هشام» طلب منك يومًا أن تتصل تليفونيًّا بـ «عاطف» لتنقل له رسالة ما، فاحتفظت برقم التليفون من وقتها واستعملته وقت الحاجة إليه.

ظهر الذهول على وجه موسى وجفَّف عرقه وهو ينظر إلى «تختخ» بدهشة عظيمة، كأنَّه يشاهد ساحرًا يُخرج الأرانب من جيوبه، وقال ببطء: هذا ... هذا هو ما حدث بالفعل ... لم يَعُد هناك مجال للإنكار ... لقد انكشف كل شيء.

تردد «موسى» لحظات، فقال المفتش: والآن يجب أن تُخبرنا بمكان «هشام» ... إنَّ كل دقيقة لها قيمتها الآن ... وقد يُخفف من عقوبتك أن تُرشدَنا فورًا إلى مكان «هشام» قبل أن يحدث شيء له!

قال «موسى» متلعثمًا: إنني في الحقيقة لا أعرف بالضبط ... ولكن للعصابة مقر في الدرَّاسة، يمكنني إعطاؤكم عنوانه.

لم يُضيِّع المفتش ثانية واحدة ... قفز إلى الخارج وخلفه رجاله بعد أن حصل على العنوان من «موسى»، وقال: ليبقَ الجميع هنا ... هناك احتمال لتبادل إطلاق الرصاص!

ولكن «تختخ» أسرع خلف المفتش «سامي»، الذي ابتسم عندما رآه يركب السيارة بجواره، وقال له: من حقك مشاركتنا الوصول إلى نهاية هذا اللغز.

واندفعت سيارة المفتش «سامي» وخلفها عدد من سيارات الشرطة خارجة من المعادي متجهة إلى طريق الأوتوستراد باتجاه الدرَّاسة. كان الوقت ليلًا عندما وصلت سيارات الشرطة إلى أول الدرَّاسة، وأشار المفتش لرجاله بالتوقف ... فأوقف الجميع سياراتهم، وخاطب المفتش رجاله قائلًا: عليكم بحصار منزل العصابة والتسلل إلى الداخل دون أن يشعروا بنا، وإلا بادلونا إطلاق الرصاص، فهم مجرمون لا يتورعون عن شيء.

وظهر منزل العصابة على مسافة في الظلام، فانتشر رجال الشرطة حوله في حرص وهدوء دون أن يُحدثوا صوتًا.

وهمس المفتش «سامي» لـ «تختخ»: لتبقَ خلفي؛ فليس معك سلاح لتدافع به عن نفسك، وتقدَّم شاهرًا مسدسه ... وكان باب المنزل مغلقًا ... ودار المفتش «سامي» وخلفه

رجاله و«تختخ» حول المنزل ... وشاهدوا نافذة صغيرة مفتوحة في الطابق الثاني ... تمتد بجوارها مواسير المياه ... فأشار المفتش إلى أحد ضباطه فتسلق الماسورة في خفة النمر ... وبعد قليل كان الضابط قد فتح باب المنزل من الداخل دون أن يشعر به رجال العصابة.

وتسلل المفتش وخلفه رجال الشرطة إلى داخل المنزل، على حين بقيَ «تختخ» بالخارج، وكانت هناك أصوات تنبعث من حجرة مضاءة بالطابق الثاني، فصعد رجال الشرطة لأعلى ... وتفاهم المفتش «سامي» مع رجاله بالإشارة ... وفي لحظة واحدة اندفع الجميع شاهرين مسدساتهم في وجه أفراد العصابة الذين كانوا يتناولون عشاءَهم، فصاح المفتش «سامي» بهدوء: لا يتحرك أحدكم وإلا أطلقنا الرصاص.

فوجئ أفراد العصابة برجال الشرطة فجمدوا في أماكنهم ذاهلين، واستطاع المفتش «سامي» أن يميز منهم «سيد» فرَّاش المدرسة ... وأيضًا الرجل الملثم الذي طارده في منزل «سيد» ببولاق الدكرور ... وفي ركن الحجرة كان «هشام» مقيَّدًا، صاح المفتش في رجاله: اقبضوا على هؤلاء المجرمين.

ولكن وقبل أن يتحرك رجال الشرطة، ألقى الرجل الملثم بصحن أمامه نحو لمبة الحجرة فانفجرت اللمبة وساد الظلام المكان، وصاح المفتش في رجاله: حاصروا المكان.

ولكن حركة الملثم كانت أسرع، فاندفع نحو النافذة القريبة وقفز منها إلى أسفل قبل أن يتمكن رجال الشرطة من منعه.

وفوجئ «تختخ» بالشبح الذي سقط أمامه، وعلى الفور تبيَّن شخصيته، واندفع الملثم جاريًا بأقصى سرعته، ولكن «تختخ» اندفع خلفه برغم بدانته، وأدرك «تختخ» أنَّ السباق لن يكون في صالحه، فمدَّ قدمَه نحو ساق الملثم الهارب من الخلف، فتعثَّر في جريه وسقط على الأرض، فألقى «تختخ» بنفسه فوقه، ومدَّ يده ينتزع اللثام من وجه الرجل، وعندما تبيَّن ملامحه هتف في ذهول عظيم: «شنكل»؟

كان هو نفسه مهرِّب المخدرات الذي صادفه «تختخ» في القطار وتمكَّن من إلقاء حقيبة السموم قبل أن يَصِل رجال الشرطة إليه.

حملق «شنكل» في «تختخ» بذهول، وقال له: أنت ... كيف تمكنت من الوصول إليَّ؟

تختخ: وهل ظننت أنَّك ستهرب من العدالة إلى الأبد؟

حاول «شنكل» المقاومة وإزاحة «تختخ» من فوقه بلا فائدة ... واندفع رجال الشرطة نحو «شنكل»، وألقوا القبض عليه، وهتف المفتش «سامي» في دهشة عندما شاهد «شنكل»: يا لَها من مصادفة عجيبة ... إننا نطارد هذا المجرم منذ وقت لإلقاء القبض عليه متلبِّسًا بتجارة المخدرات، وكان يهرب منَّا في كل مرة.

وظهر «هشام» خارجًا من منزل العصابة، فاندفع إليه «تختخ» يحتضنه، ويقول له: حمدًا لله على سلامتك.

وربَّت المفتش «سامي» على كتف «تختخ» قائلًا: إنَّ الفضل يعود لك أيها المغامر الممتاز.

تختخ: سوف يَسعد والدَا «هشام» بالعثور على ابنهما سليمًا معافًى.

قال «هشام» في حزن: إنني لا أصدِّق كل ما حدث لي، وكيف كان هؤلاء المجرمون يستغلون كفاف بصري ليدسُّوا السموم في عصاي ... ولو كنت أعرف ذلك لحطمت هذه العصا فوق رءوسهم، فهذه المخدرات قاتلة لمن يستعملها وتُصيب المدمنين بالجنون أو الموت.

تختخ: حمدًا لله أن قبضنا على كل أفراد العصابة.

قال المفتش لـ «تختخ» ضاحكًا: لقد انتهت هذه القضية نهاية غير متوقعة ... وهي أول قضية تنتهي قبل البدء في التحقيق الرسمي ... وسأطلب من وزارة الداخلية أن تمنحك نيشانًا تقديرًا لكفاءتك وذكائك في حل طلاسمها.

تختخ: إنَّ مكافأتي الحقيقية هي عودة صديقنا سالمًا.

واتجه المفتش «سامي» و«تختخ» و«هشام» إلى سيارة المفتش التي اتجهت بهم إلى المعادي ... ومن الخلف كانت سيارات رجال الشرطة تتبعهم بعد أن قاموا بتقييد رجال العصابة الجهنمية ... معلنين أنَّ الجريمة لا تُفيد، وأنَّه مهما كانت براعة المجرم فإنَّه لا بد وأن يسقط في يد العدالة في النهاية.

هنـــداوي